ميريت الثقافية

MERIT EL THAQAFEYYA

تصدر عن دار ميريت للنشر

كتاب أدبي غير دوري | العدد 52 | أبريل 2023

قراءات في رواية «الشرفة» لسوزان كمال

مقدمة في التقنية وسوسيولوجيا السرد في السودان

بول كلي..الإحساس باكتمال التكوين وجلاء الرؤية

محاولة تفكيك الخطابات الدينية وإعادة تركيبها

تشارلز سيميك.. عن الحرب والاغتراب وقصيدة النثر

مريت الثقافية

MERIT ELTHAQAFEYYA

تصدر عن
دار ميريت
للنشر

كتاب
أدبي
غير
دوري

العدد
52

أبريل
2023

قواعد النشر في «ميريت الثقافية» :

تنحاز «**ميريت الثقافية**» للكتابة الإبداعية والثقافية الجادة، التي تعبر عن فكر ورسالة التنوير، ويسعدها أن تقبل المساهمات الأدبية والثقافية وفق المتطلبات الآتية :

- أن تكون المادة المرسلة مخصصة حصريًا لـ «**ميريت الثقافية**» ولم يسبق نشرها بأي وسيلة نشر أخرى.
- ترسل المادة مكتوبة ومصححة على برنامج «وورد» Word، ولا تُقبل الأوراق المطبوعة، أو الملفات بصيغ أخرى (مثل PDF).
- المجلة غير ملزمة بتقديم تفسير عن عدم النشر، وميعاد النشر يخضع لأولويات المجلة وأسبقية إرسال المواد.
- ترتيب المقالات وأسماء الكُتَّاب يخضع لاعتبارات فنية خالصة، وليس له علاقة على الإطلاق بأهمية المبدعين، والمجلة تعتز بكل كُتَّابها وقرائها.

المدير العام: **محمد هاشم**

رئيس التحرير : **سمير درويش**

نائب رئيس التحرير : **عادل سميح**

مدير التحرير : **سارة الإسكافي**

التنفيذ الفني : **إسلام يونس**

الماكيت الرئيسي والتصميم
إهداء من
أحمد اللبَّاد

أسسها سمير درويش
وصدر العدد الأول فى يناير 2019

المراسلات : **دار ميريت للنشر** ، 32 شارع صبري أبو علم ، القاهرة ، مصر

email: miritmag@gmail.com

المواد المنشورة بالمجلة تعبر عن آراء كُتَّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي القائمين عليها.

المحـــ

افتتاحية

4 نزع قداسة غير المقدس.. محاولة تفكيك الخطابات الدينية وإعادة تركيبها | رئيس التحرير

إبداع ومبدعون

رؤى نقدية :

14 أمينة رشيد ووساطة المثقف الملتزم | أيمان سيد
20 العلاقة بين الفردي والجماعي في المكان السيرذاتي | الأزهر الصحراوي
31 مقدمة في التقنية وسوسيولوجيا السرد في السودان | أحمد ضحية
45 من صور التنوع الثقافي في المسرح السوداني | أبو طالب محمد
54 مفهوم «النقد الثقافي" عند الناقد المصري محمد الشحات | طارق بوحالة
58 فضاء السجن في رواية "لا رياح ولا مطر" لمحمود يعقوب | د.ضياء غني العبودي

ملف خاص:

(المشهد الإبداعي الراهن في السودان)

الشعر في السودان:

64 معارج الاشتياق | أريج محمد أحمد
65 عَودة دُونْ كِيشُوت | السر مطر ◆ 66 نوايا الجلوس خبيثة | الزين محمد سليمان
67 أغنيات | محمد الجزولي السنهوري ◆ 68 للحضرميِّ خرافةٌ تجوب البحر | عادل سعد يوسف
70 مجتزأ من: كتاب أبيض | محمد الصادق الحاج ◆ 72 لا تقفي! | محمد جدو أحمد الدرديري
73 من ثقب حنجرة الناي | مُنذر عشرية ◆ 74 انْتَظِرِينِي يَا مَسَافَاتُ أُوْقِظُ بَطْنَ القَارِب | ناجي البدوي
75 يا رجلًا يرتدي ألوانَ قلبي | نوال حسن الشيخ ◆ 77 هشاشة التفاصيل الصغيرة | برهان كارليتو
78 مراقبة العَفَن | خواطر المحجوب ◆ 79 لا أعرف! | عمار شرف الدين
80 ما تبقى لي من الحياة | محمد سيزيف ◆ 82 طفل مقدور بأيادي الوقت | محمد عبد العزيز أحمد
84 لم تكوني كافية | مروة على ◆ 85 يتصبب عرقًا | موسى آدم أبستيمي
86 لا تحزن | هبة الشريف

القصة في السودان:

88 تدابير المصادفة | أحمد مبارك
90 الثابتُ في دور | إسراء رفعت ◆ 94 أحمد توش | صديق الحلو
96 نصف قاتل | عبد القادر حيدر ◆ 99 زووم | محمد حسن النحات
102 إذا تلون الأفق بلون النهار | مصطفى خالد مصطفى ◆ 104 سِفْرُ الصُّعودِ | موافي يوسف
106 أضغاث أشواق | الصادق عبد الشافع زايد ◆ 108 شعر أفريقي خشن! | طلال الطيب
112 في الخِتام كانت الكلمة | علاء الدين أحمد إبراهيم ◆ 114 بلا عنوان | فاطمة عيسى

نون النسوة : (قراءات في رواية "الشرفة" لسوزان كمال)

116 رواية «الشرفة» لسوزان كمال.. ماذا وراء المحكي ودلالاته؟ | د.محمد زيدان
122 تجدد الأصوات والذكريات والرؤى الجمالية فيما وراء الحدود الزمانية– المكانية | د.محمد سمير عبد السلام
127 التنوع الثقافي للشخصيات.. في رواية الشرفة لسوزان كمال | د.رشا الفوال

ـتويات

تجديد الخطاب

134 **الحادية عشرة بتوقيت محبة الدكتور نصر حامد أبو زيد** | أشرف البولاقي

149 **فتنة معاوية.. من الخلافة إلى الدراما الرمضانية** | سيد مهران

حول العالم

156 **الآداب ما بعد الكولونيالية والخطاب المضاد** | هيلين تيفين– ت: د.محمد بوعزة

163 **قصتان قصيرتان** | ليزلي ووكر تراهان– ت: د.محمد عبد الحليم غنيم

الملف الثقافي : (تشارلز سيميك.. عن الحرب والاغتراب وقصيدة النثر)

168 **فن تشارلز سيميك.. منمنمات غير واقعية** | ميشيل دليفيل– ت: د.عادل ضرغام

180 **عن قصيدة النثر** | تشارلز سيميك– ت: د.ليلى أحمد حلمي

185 **تشارلز سيميك شاعر الحرب والحب** | د.محمد أحمد البدوي

190 **"العالم لا ينتهي": قصائد نثرية لتشارلز سيميك** | مايسا كريستينا دورادو– ت: منى كامل

203 **تشارلز سيميك: يلمس العالم بطرف إصبعه** | سونيا فيسيلينوفيتش– ت: طارق فراج

216 **تَرويضُ الذاكرة، فَداحةُ الحربِ، وسيرةُ الحظّ والوجَع..** | د.محمد ايت أحمد

229 **الأشياء في عالم تشارلز سيميك الذى لا ينتهي** | سارة أبو ريّا

235 **الغرفة البيضاء.. وقصائد أخرى** | تشارلز سيميك– ت: د.عبير الفقي

240 **ضد الشتاء وقصائد أخرى** | تشارلز سيميك– ت: أسامة عبد الكريم عبد الرازق

ثقافات وفنون :

حوار: 248 **أشـرف الصباغ: جيل الثمانينيات من أحط الأجيال الإبداعية التي وردت على الحركة الثقافية والفنية والفكرية!** | حاوره: سمير درويش

رأي: 262 **"موظفة الخزينة".. وتفاهة الشر** | أسماء عبد العزيز مصطفى

شـهادات: 266 **مدرسة الغابة والصحراء.. جدل الهوية السودانية** | إحسان الله عثمان

270 **لا شيء في المدينة** | رحمه جابر

فن تشـكيلي: 272 **الفنان بول كلي.. الفن العربي.. الإحسـاس باكتمال التكوين وجلاء الرؤية** | د.جمال العتَّابي

كتـب: 279 **الروحانـي والفيزيقي في المجموعة القصصية «هذا مقعدك»** | عبد العزيز دياب

283 **الثقافة من إنتاج العلامة إلى بناء الذاكرة لدى عبد الله بريمي** | عبد الغفور روبيل

لوحة الغلاف والرسوم الداخلية المصاحبة لمواد باب «**إبداع ومبدعون**» **للفنانة الأمريكية ليان شابتون 1973– ...)**

الرسوم المصاحبة لمواد باب «نون النسوة» **للفنان العراقي فاروق حسن (1939– ...)**

الصور الفوتوغرافية في مداخل الأبواب والغلاف الثاني **للفوتوغرافي المصري أحمد سامح**

تَرويضُ الذاكرة، فَداحةُ الحرب، وسيرةُ الحظ والوجَع.. قراءة في «ذبابة في الحساء»(*)

د.محمد ايت أحمد
(المغرب)

يعتبر تشارلز سيميك Charles Simic علامةً فارقة في الإبداع الشعري خلال حصيلة المشهد الأدبي في عالم القرن الواحد العشرين، ولاَ بد من الإشارة إلى أن الأمريكي من أصلٍ صربي قد تميز بقلمه الموجز والموجِع على حدٍّ سواء، فاعتُبرت قصائدهُ الشعرية، ومجموع الدواوين التي أنتجها، إلى جانب إنتاجاته النثرية وإضافاته المختلفة في مجال الترجمة بيبليوغرافيةً ومرجعًا هامًّا في أدب التاريخ المعاصر.

نشيرُ إلى أن نصيب الشعر في تأليف سيميك أخذ الحصة الأكبر بالمقارنة مع النثر، وقد جرى ذكر اسمه في الأدبيات النقدية شاعرًا أكثر منه ناثرًا، بالرغم من أنه بزغ في قصيدة النثر كثيرًا، بيدَ أن شعريَّة النص وشاعرية المبدع في الرؤى والدلالة لازمتهُ حتى في بعض المحاولات النثرية التي قدمها كاتبًا للسيرة أو مُترجمًا أو غير ذلك.

لقد حظي سيميك بتناول نقدي يليق ومكانته الإبداعية، بالرغم من أن الدراسات النقدية حوله اهتمت بالماهوي واشتباكات القصيدة الفنية وتورطاتها الفلسفية والسياسية والأيديولوجية، وغيرُ خافٍ أن سيميك قد استمد طاقتهُ الإبداعية الشعرية من خلفية واقعية على إثرها عاش حياة مرُكبة وعصيبة زمنيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا وفكريًّا، كونهُ عَاصر ظُروف الحرب العالمية الثانية، ممهداتها ووقائعها ونتائجها.

في هذه الورقة البحثية نسعى إلى تقديم قراءة في السيرة الذاتية ذبابة في الحساءA fly in The soup لتشارلز سيميك، واحدٌ من الذين اختمر لديهم الوعي بتقلبات العالم منذ أربعينيات القرن الماضي، وقد قدَّمت الشاعرة والأكاديمية المصرية إيمان مرسال(*)(*) ترجمة بَديعة وجادَّة لتلك السيرة، ومن مَنظور تحليلي بما هو بناءٌ وتركيبٌ نُقارب نسيج الذكريات في هذا النص الأتوبيوغرافي ونكشف عن جسامة الحرب وانعكاساتها، وعن مسَار حياة تأرجحت فيه الذات الكاتبة بين الفُرصة والحظ تارة واليأس والوجَع تارة أخرى.

يعقدُ النص الأتوبيوغرافي Autobiographie ميثاقهُ القرائي مع مُتلقيه مُنذ التأطيرات الأجناسية التي يضعها كما يؤكد على ذلك فيليب لوجون[1]، وعليه يذهبُ بنا عنوان سيرة سيميك إلى أقاصي الدلالات الاجتماعية للفقر والاضطهاد، وعلمًا أن العُنوان يحيل إلى وقائعٍ مُقررة سلفًا، غيرَ أن غوايةَ

من صنف آخر يمارسها هذا العنوان في تشظياته وأبعاده المتفرقة، فإذا كانت الذبابة في الحساء تحتمل صورة الفقر وتصوير الهشاشة والعدمية فله دلالات أخرى، فقد يحتمل منظورًا آخر القصد منه أن الذبابة هو الشاعر نفسه التائه المشتت الذي كل ما استقر قليلًا طارَ هاربًا كثيرًا، والحساءُ هو العالم الذائب الغارق في تفاصيل الدَّمار على مرأى عينيه، أعتبر عنوان السيرة مُراوغًا يلعب لعبة الإيحاءات اللا متناهية وهذا أمر بدَهي في سيرة رجل عاش اللا محدود في زمن اللا حدود، إنه عنوان «يؤسس في ذهن المتلقي إيحاءً ما: انفعاليًّا أو أسلوبيًّا أو حتى أيديولوجيًّا، بحيث لا يبدأ المتلقي في تلقي النص أو في قراءة العمل المبدع من نقطة الصفر، وإنما يبدأ مما يؤسسه العنوان من معرفة أو إيحاء» [2].

يبدو مُفيدًا اعتبارُ هذا النص السير ذاتي نبشًا في الذاكرة يعمدُ إلى المراهنة على تقنية التعرية –La dénuda tion[3]، فأن تلبي نداء الكتابة السير ذاتية هو أن تكون لك القدرة على شيطنة الذاكرة وترويضها والذهاب بها إلى الأقاصي لاستذكار تفاصيل العُمق الزمني وارتباطاتها المختلفة في شتى الدروب، وغير خاف أن تقاسم الحياة الشخصية والصوغ الذاتي أمر في مُنتهى الصعوبة، ولا سيما في حياة أساسُها الرعب والارتياب ووسمها اللا استقرار، أقصدُ طفولةً عاشها سيميك وخرابَ الحرب وهشيمَ النار يأتي على العالم، ويأتي على يوغوسلافيا، ويأتي على بلجراد.

معلومٌ أن السِّيرة باعتبارها سردًا قصصيًّا يُترجم للحياة الخاصَّة للكاتب في أهم أحداث حياتِه وأقواها دلالةً، غير أنه من زاويةٍ ما نجدُ كاتب السيرة لا يكشف عادةً إلا تلك الأوجه التي يريد أن يتذكرها القراء ويعرفوها[4]، ولكن سيرة سيميك لعل ما يميزها ويضمنُ لها الدينامية في التناول الجماهيري والتداول النقدي، هو ذلك الصدق العفوي في تشخيص الأحداث وتصوير الوقائع، وتلك اللغة البسيطة الآسرة للفكر والذوق.

نقرأ في هذه الورقة البحثية نص السيرة الطويل لسيميك الذي وقع في (319) صفحة، وذلك من مُنطلق مفصلي يَستوعب سُرود ومَسارات هذا النص السير ذاتي، ولتظهير ذلك وضعنا المحاور الآتية للتحليل بما هو تركيب.

أولًا: الحرب والجوع وهاوية الفراغ

إن المحكي الذاتي في سيرة تشارلز سيميك، هو تمثيل في جانب كبير منه لطفولته التي عاشها في زمنية الحرب العالمية الثانية (1939–1945) بين الحلفاء ودول المحور، والفوضى التي حلَّت بالعالم بعد استئناف ذلك الخراب، ويسعى من خلال تمثيله الذاتي في سيرته تظهير المشهد الطاغي على أوروبا الشرقية، أكبر مسرح للحرب في التاريخ وقتذاك، وموقعِ بلده يوغوسلافيا في دائرة الحرب الطاعنة، التي كانت محط أطماع مختلفة في فترات زمنية متباينة، من طرف الفاشية الألمانية التي احتلت مدينة بلجراد، ومن طرف الاتحاد الشيوعي طرفًا في مسرح الحرب، وبالتزامن مع ذلك نشبت لعنةُ الحرب الأهلية في يوغوسلافيا بين دزينة من الفصائل التي تذبح بعضها البعض؛ الملكيين والشيوعيين والفاشيين[*]..

«تحدث مثل هذه الأمور كثيرًا، اليساريون كانوا متأكدين من أننا فاشست، واليمينيون كانوا متأكدين أننا شيوعيون. سرد قصة حياتنا كان يزيد الأمر سوءًا»[5].

يصفُ سيميك عصور الظلام تلك، والأشياء التي حدثت منذ أزيد من خمسين سنة، ويذهبُ بعيدًا إلى عتمة الماضي مذكرًا بفداحة الحرب، ومع كل كلمة يخطها في سيرته يلاحقهُ شبح الذاكرة التي أدانت خسارة

الماضي ورفضت الواقع السياسي والأيديولوجي، لقد كان تشارلز في أثناء الحرب طفلًا، وعليه راهن في سيرته على تشخيص مذاق الحرب والطفولة؛ أو حينما تستوي الصفعة والقُنبلة، صفعةُ الأم كطفل، وقنبلة الحرب كطفل. «**في 6 أبريل 1941، كان عمري ثلاث سنوات، في الخامسة صباحًا ضربت قنبلة المبنى المقابل من الشارع مما أدى إلى اشتعال النار فيه. بلجراد التي ولدت فيها، لديها تميز مريب، فقد قصفها النازيون في عام 1941، والحلفاء في عام 1944، والناتو في عام 1999**»[6].

إن تجربة الحرب وهولها في جوارح سيميك وكذلك في عقله، تُصورها سيرته الذاتية بالطابع التشاؤمي والمزاج السوداوي البشع الذي خلفته في عالمه النفسي؛ «**طفولتي فيلم بالأبيض والأسود**»[7] وعليه نجدهُ يتناول بشكل دقيق وبشعرية تفاصيل أزمات الحياة وذكريات الطفولة وقصة النزوح، وفراغ السُّلطة وحافَّة الهاوية. إن السيرة الذاتية لسيميك وبخاصة في مرحلة طفولته هي نداءٌ للفراغ في قعرِ الدَّمار؛ سيرة قُنبلة ولَعِب؛ «**ولدٌ يكبرني بقليل. اتضح أنه تسلل للخارج ليشاهد القنابل وهي تسقط، عندما أعاده الرجال بدأت أمه تصفعه وتؤنبه بشدة، كانت تصرخ فيه أنها ستقتله إذا خرج مرة أخرى. كنت مرعوبًا من صفعاتها أكثر من رعبي من القنابل**»[8].

هكذا روحُ طفل خفيفة أرادَت أن تعيش لعبَ الطفولة وألوانها وصخبها، فإذا بها تعيش إلى جانب اللعب قنابل الصراع وقصص الحرب بين دول التحالف ودول المحور، لذلك ظلت طفولته، وطفولة اليوغوسلافيين، ومسرح بلجراد أقوى اللحظات التي عاشها سيميك في عتمة السُّلطة وبطشِ الحكم وزمنية العمى. «**هل كان العالم حقًّا رماديًّا وقتها؟ في ذكرياتي المبكرة كان العالم دائمًا في أواخر الخريف. الجنود رماديون، وهكذا كان الناس. الألمان يقفون في الزاوية، نحن نمر بجانبهم، تهمس أمي: «لا تنظر إليهم»، نظرت إليهم على أي حال، وواحد منهم ابتسم. لسبب ما أخافني ذلك**»[9].

إن فاجعة الحرب في سيرة سيميك لم تكن نفسها أعظم شيء حصل، بل أثرها في الزمن النفسي ووقعها في عالمه الاجتماعي، إن ما يميز التمثيل السردي لتيمة الحرب في هذه السيرة الذاتية أنه «لا يقتصر على وصف كرونولوجية الحرب، بل يتجاوز هذا المستوى الخطي إلى تشخيص أثر الزمن الحربي في زمن الإنسان، بما هو ذات وكينونة ومنظومة قيم أخلاقية وإنسانية. إنه يركز على تشخيص الأثر «الفجائعي» لزمنية الحرب وليس على حدثها «الوقائعي»»[10] «**أتذكر أنني رجعت من المدرسة إلى البيت في ظهيرة، قلت لها إنني جائع، فانفجرت في البكاء. الشيء الوحيد الذي وجدته هناك في ذلك اليوم، كان البصل الذي قطعته شرائح. لم يكن هناك زيت، فقط بعض قطع الخبز الجافة وملح. فكرت ساعتها أن مذاقها لذيذ جدًّا**»[11].

تسريدُ حالة التجويع وواقع الحال المرِّ هو ما حاول سيميك تمثيله بقوة، كمعطى حاضر في جزء من سيرة طفولته، وخاصة قبل النزوح من بلغراد وعيش تجربة الشتات في فرنسا، وانتهاءً بمطاردات الأحلام في أمريكا، وفي أكثر من تدفق حكائي وصَوغ ذاتي، أبرز سيميك ثلاثية الحرب والجوع والفراغ كمعالمَ أولى طبعت حياته، قبل أن تشق به تلك الحياة دروبًا وانعطافاتٍ أخرى فيها الأجمل والأقبح، ضمن سيرة تعصفُ بها التقلبات من كل جانب، ولم يكن أصعب من شيء في ذلك الشق الباهت من الطفولة إلا حكايةُ الجوع والقهر

والاستبداد؛ «**نقايض ما نحتاجه بأي شيء حيث لم يكن عندنا نقود. نعطي حذاء الرقص الجلدي الأسود الذي تركه أبي مقابل دجاجة. (..) قايضنا سجادًا وأرائك وآنية خزفية راقية بحيوانات مختلفة عبر السنوات**»[12].

ثانيًا: مرَايا الذكريات، تفكيكُ الانكسار

أعود في هذا المحور للتأكيد على أن الخطة السردية التي اعتمدها سيميك في المحكي الذاتي، هي مرآوية الذاكرة، أو رواية كل ما تعكسه الذاكرة من صور في الماضي، بعضها يبدو واضحًا ملتئمًا في النسيج الحكائي، «**تعود أولى ذكرياتي إلى سنة1942 أو 1943**»[13]، والبعض الآخر من نسيج الذكريات يبدو شذريًّا مُتشظيًا، «**ذاكرتي ضعيفة وكل شيء يبدو وكأنه تحت إضاءة خافتة وظلال كثيفة**»[14].

والأهم أن خطاب الانكسار يُهيمن على نسق الذاكرة، الانكسارُ الاجتماعي والسيكولوجي الذي عاشه سيميك، خاصة بعد الترحيل، وتأزم الأوضاع وازدياد الحاجة إلى الخنزير المسكين الذي يحضر في النص بقوة كنايةً على الوجبة التي يتصارعُ ويُصارع الجميع من أجلها، إيحاءً كذلك

إميل زولا

إيمان مرسال

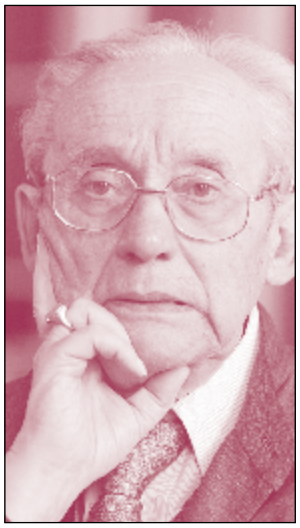

بول ريكور

للضرورات البيولوجية، وفي قائمتها الأكل، الأكل الذي يسدُّ الحاجة للأكل.

يجري السفر بالذاكرة أيضًا عبر اعتماد شعرية التفاصيل واقتياد الذاكرة إلى كل التفاصيل(*) والرغبة في اكتشاف أبعد نقطة في التذكُّر، ذلك أن «رغبة الاكتشاف تحول الماضي إلى حاضر إبداعي جديد»[15].

«**أتذكر استلقائي على الأرض وعيني في عين إحدى الدمى من الجنود أو مراقبتي للذباب وهو يتسكع على السَّقف. عدا هذه المشاهد المتفرقة، لا أتذكر بم كنت أفكر أو بماذا كنت أشعر**»[16].

الحال أن سيميك لا يصل إلى أبعد نقطة في التذكر دائمًا، فكثيرًا ما ترد كلمة ما عدتُ أتذكر، أو ما شابه، أو يبرر بالنسيان، حتى وإن حدث ذلك كما يُفصح في المقطع أعلاه، فلا يتذكر بما يفكر، أو بما يشعر، ولربما يكون ذلك مؤشرًا على الصدق التام لكل ما يلاحقُه سيميك بالسَّرد، لأن لحظة الماضي وإن جاء الإتيان بها إلى الحاضر صدقًا، فهذا لا يعني تخييلها كما هي في الماضي، بل إقرارها كصورة ومعطى في الحاضر، وهذا أصعبُ مما يكون، لذلك نجدُ بول ريكور في حديثه عن الذاكرة يصرُّ على فكرة «إن أنا تذكرت حدثًا من حياتي الماضية فإني لا أتخيله، إني أتذكره، أي إني لا أطرحه كمعطى– غائب، لكن كمعطى– حاضر

في الماضي»[17].
غير أنه مَلحوظ في سيرته تلك العلاقة الحميمة في التذكر بالأماكن والتواريخ، الأماكن والمسافات بينها، والتواريخ بالضبط والدِّقة، يقول بول ريكور بهذا الصدد مُعلِّلًا علاقة الذاكرة بالمكان «إن الصلة بين الذكرى وبين المكان تطرح قضية صعبة تأخذ كل قوتها من تخوم الذاكرة، والتاريخ الذي هو أيضًا جغرافيا»[18].
يرحلُ سيميك إلى ذكرياته الماضوية أيضًا عبر اعتماد تقنيات في الكتابة تُعيد صورة الماضي، كالرسائل باعتبارها استراتيجية فنية كانت تجمع سيميك بغيره(*) في أكثر لحظات حياته، خاصَّة بأهل الأدب والفن والشعراء، وهذا ما سيتم توضيحه في عَناصر مُوالية من هذه الورقة البحثية.

ثالثًا: الشَّتات، سيرةُ الهجرة والنبذ والاغتراب

يصوغُ سيميك سيرته في قالب آخر غير الحرب والجوع والفراغ، فبعدما خاضَ مرحلة عسيرة في طفولته الأولى يشكو غباءَ العالم الذي أرهقهُ بالجوع وسبَّب له الانتكاسة ولعائلته أيضًا، مع هذا كله فإن الأب جورج سيميك الموظف في شركة الاتصالات التي بدأ العمل بها في يوغوسلافيا، والمقر الرئيس للشركة الذي كان في شيكاغو، سيقرِّرُ السفر عبر إيطاليا راغبًا في الوصول إلى أمريكا، وهو ما تحقق له، واستحالت عودته في الوقت الذي بقي فيه تشارلز سيميك في منزل جدِّه رفقة أخيه وأمه، يفكران في اللحاق بالوالد، لا سيما بعد التغيرات التي أحدثتها الحرب في الخارطة الجغرافية ليوغوسلافيا؛ «**أسرتي، مثل أسر أخرى عديدة، تمكنت من أن ترى العالم مجانًا، والفضل يعود لحروب هتلر وسيطرة ستالين على أوربا الشرقية. نحن لم نكن متعاونين مع الألمان، ولا كنا من المنتمين إلى الطبقة الأرستقراطية، كما لم نكن بأي معنى من المنفيين السياسيين، عديمي الأهمية كنا، لم نقرر شيئًا لأنفسنا. كل شيء رتبه قادة العالم في وقتها. كالكثير من النازحين لم يكن طموحنا يتعدى حدود مدينتنا بلجراد. كنا على ما يرام مع ذلك. اتفاقيات عقدت حول مجالات النفوذ، حدود أعيد ترسيمها، وما يسمى بالستار الحديدي تم إسداله، ونحن رحَّلونا مع أغراضنا القليلة. ما زال المؤرخون يوثقون جميع الخيانات والرعب الذي واجهناه كنتيجة لمؤتمر يالطا وغيره، والموضوع أكبر من أن ينتهي**»[19].
في المحاولة الأولى للحاق بالأب الذي تحرر بعدما اعتقله الألمان، وعَلق أخيرًا في نشاطاته في أمريكا، باءت رحلةُ عبور الحدود الأولى للأم وسيميك والأخ بالفشل، رحلةٌ مؤلمةٌ وخانقةٌ من بلجراد عبر يوغوسلاف إلى أمريكا لم تُكلل بالنجاح، فشلوا وتم إرجاعهم إلى

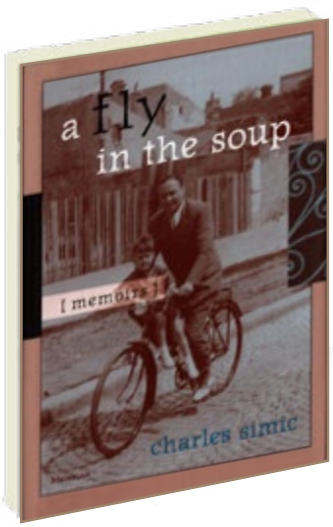

بلجراد؛ «**لقد كانت السجون في ذلك الوقت مملوءة بمن عندهم قصص سياسية أكثر خطورة، لم نكن مهمين. صفعوا أمي على وجهها عدة مرات منها مرة أمامنا، وكان ذلك كل ما حدث**»[20]. وستُعاد الكرَّة في وقت لاحق بعد استصدار جواز السفر مُكللة هذه المرة بالنجاح ولكنها مليئة بأحداث الاغتراب وبالارتكاسة في فرنسا لمدة أطول[*].

هاجر سيميك إلى باريس في سنة 1953 في سن الخامسة عشر رفقة الأم والأخ الأصغر، وهناك سيعيش وعائلته قصة الشتات، يحكي سيميك فشله الدراسي والاندماجي في الوقت الذي عاشه رفقة الأم والأخ في باريس، حيث كان يشعر أنه أجنبي مُريب، أو يكون هذا ما أشعرهُ به الفرنسيون، ولكن كان سيميك مُتيقنًا

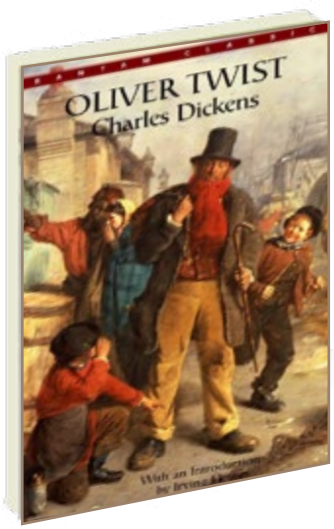

من أنه مع الفقر والحاجة والحرب، تُصبح الهجرة هي الحل الأنجع، والنزوح خارج خارطة الموطن هو الأمثل؛ «**الهجرة، المنفى، أن تكون بلا جذور وأن تصبح منبوذًا (..) أصبحنا لغزًا حتى لأنفسنا. في البداية كان ذلك صعبًا علينا، ولكن بمرور الوقت بدأنا نعتاد على وضعنا الجديد. بدأنا نستطعمه ونستمتع به**»[21].

خلال هذه المرحلة الانتقالية التي كانت جزءًا راسخًا في مخيال تشارلز والتي كان عُنوانها المعاناة في باريس، أسهبَ الكاتب في سَرد الكثير من التفاصيل بالعُمق والبوح والكشف، إذ تركت الغُربة في أفئدتهم نشازًا وتلاعبت سيرةُ الاغتراب والنبذ بأرواحهم، ولكنها مع ذلك كانت بذوقِ الجمال الفرنسي وبحجم باريس، المحضن الحميم لكل التناقضات؛ «**نامت أمي وأخي على السرير، بينما نمت أنا على الأرض. بقينا على هذه الحال لمدة عام كامل، كنا فراء، هذا ما أدركته**»[22].

في هذه المرحلة يُكثر سيميك من الاسترجاعات Flash–back ذلك أن الوجود الراهن له كمهاجر في قلب الاغتراب يحتمُ عليه السفر عبر الزمن للإتيان بذاكرته الماضوية في بلجراد، حيث تُسعفه على مُواجهة وحدته وتعويض التلاشي.

رابعًا: سيرة قلب شَاعر وعقل فَيلسوف

حياة سيميك لم تكن شذرات من الحرب والجوع والاغتراب فقط، بل تعددت وجوهها، في «ذبابة في الحساء» تبرزُ سيرة شخصية غارقة في الفن، في الموسيقى، في العزف، في الفيلم، في الشعر.. سيميك الشاعر الذي بدأ يظهر منذُ مغادرته لملامح الطفولة الأولى، ومنذُ بزوغ بنيته وحشرجة صوته، بدأ الكاتب يكتشفُ نفسه شخصًا رهيف الإحساس، عاليَ الذوق، يُحاول الكتابة ويفشل، ويحب الفن، ويتذوق الشعر؛ «**لا أبالغ كثيرًا عندما أقول إنني لم أكن أذهب إلى الحمام من غير كتاب في يدي. أقرأ حتى أسقط في النوم وأستأنف القراءة بمجرد أن أصحو. (..) أقرأ كل شيء من أفلاطون إلى ميكي سبيللين**»[23].

الجانب الثقافي، وتنمية الذات، والاهتمام بالفنون هو سيميك الحقيقي بعد ويلات الحرب، وبعد النزوح، وبالرغم من فشله الدراسي على أعقاب عوائق لغوية ومُشكلات في الاندماج سواء في فرنسا أو في أمريكا، إلا أنه من المفيد التأكيد على الشَّمعة الثقافية المتوهجة

في داخله والتي لم تنطفئ لحينٍ ما رغم كل الظروف؛ العملِ، الخدمة العسكرية.. «**اكتشفت جزءًا من نفسي، مخيلة ورغبة في التعبير عن أشياء محددة لا أريد نسيانها**»[24].

في سيرته الذاتية تمثيلات حول ذاته الوجدانية التي يروقها الفن والشعر، وذاته الفكرية التي تأسرها الفلسفة، ولأن الرجل جمع بين الاثنين، مُنفتحًا على الأفلام، وعارفًا بالعزف والموسيقى في بدايات أولى مع الأم التي علمته ذلك، لأنه كان من صميم انشغالاتها ووظيفتها، فإن ذلك كله رسم شخصية سيميك المهووسة بالفن؛ «**كنت مهووسًا بفرونيكا ليك، لورين باكول، إيدا لوبينو، وحتى جلوريا جراهام، لكنني لم أضع عيني من قبل على جين تيرني إلى أن رأيت فيلم «لورا»** [25].

ليس ذاك فقط بل لأن الرجل كان شغوفًا بالكتاب، محبًّا للقاءات الثقافية ولندوات الشعر، مُندمجًا مع الوسط الثقافي للقرن الماضي كليةً، فهذا كان الطريق نحو تشارلز سيميك الأمريكي الصربي الذي سيصبح في وقت غير ذاك من كبار شعراء التاريخ المعاصر، وللعلم فقد كان سيميك صادقًا صدوقًا فيما يحوم حول سيرته من بوح وكشف، إذ حرص كثيرًا في محكيه على إطلاع القارئ على فشله الأول ومحاولاته الأولى في الكتابة الشعرية التي فشلت تكرارًا؛ «**لقد أخجلتني القصائد. كنت ما زلت أريد أن أكتب الشعر، لكن ليس هذا النوع من الشعر**»[26].

الجميل في المحكي الذاتي لسيميك هو الإصرار والمواجهة والرغبة، ولا غرو أن واحدًا من قيمة الشاعر الرَّاحل قد يكون واجهَ أصعب وأمرَّ مما أورده في سيرته، فقد كان طُموحه على الدَّوام وعرًا، ووصل في حسِّه الفني وذوقه الثقافي درجة التماهي مع المفكرين والأدباء والمخرجين وأبطال الأفلام وغيرهم؛ «**تخيلت نفسي ريتشارد بيسهارت عندما كنت شابًا**»[27].

إن شغف سيميك بالقراءة كما يتحدث في سيرته الذاتية شغفٌ من نوع خاص، يلتهمُ المختلف من الألوان الفكرية والأجناس المختلفة، ولذلك لمحَ الدَّارسون لقصائده الشعرية ودواوينه ذاكَ التفاعل الدياليكتيكي بين الفكر والفن والذات والمحيط؛ «**لجأت إلى مكتبة أبي. قرأت زولا وديكنز وحتى ديستوفسكي من أرفف غرفة النوم. أصبحت بعد ذلك مدمنا للقراءة. أحببت «أوليفر تويست» جدًّا، ورواية «آمال عظيمة» كانت أكثر جمالًا.(..) أحببت الملاحم والقصائد القصصية والأغاني الشعبية**»[28].

حتى في المرحلة التي قضاها في الخدمة العسكرية مبعوثًا من أمريكا إلى فرنسا لم يتخلف عن فعل الكتابة والتفكير في القصيدة، وقد كان الكتاب ملازمًا له، علما أن ظروف التجنيد ما كانت تسمح بأريحية الكتابة أو وهج القراءة؛ «**اندهشت العجوز سيئة المزاج التي تملك المكتبة من أن يختار جندي أمريكي كتابًا كهذا**»[29].

في حوار أجرته فاتنة الغرة مع تشارلز سيميك منشورٌ في المنبر الثقافي العربي ضفة ثالثة[30] سألته كالتالي: في سيرتك «ذبابة فى الحساء» كانت هناك تلك المقابلة مع الشاعر الذى اكتشفت أنه واحد من الطيارين الذين يلقون فوقكم القنابل التى كان من الممكن لإحداها أن تُنهي مَسيرتك قبل أن تبدأ، وكيف أنك تسامحت معهُ، هل التسامح ابن الفن، أم أن الأمر شخصي ويعود إلى طبيعتك الخاصة؟

وقد كان جوابه كما يلي: حسنًا، لقد كانت لحظةً مُدهشة، أن تكتشف أن شاعرًا أكبر سنًّا ورجلًا لطيفًا جدًّا والذي أعجبت به كثيرًا، قد اعتادَ إسقاط القنابل على المكان الذي كنتُ

أعيش فيه مرتين في الأسبوع في ربيع عام 1944. لقد شعرَ بالخزي وكان ممتلئًا بالاعتذارات، ولقد واسيتهُ، فقد كان طفلًا فقيرًا من سياتل وفعلَ ما قيلَ لهُ، وكان من الغباءِ مني أن ألومه عندما أصبحَ العالم كله مجنونًا، في الوقت الذي كانت فيه عائلتي مُعرضة للخطر من بعض الجيران المختلين عقليًا في بلغراد مثلما كانت من قِبَل القنابل الأمريكية[31].

لما قرأتُ هذا الحوار الذي أجرته فاتنة الغرة مع تشارلز سيميك أعجبتُ بهذا المقطع، ولكي نزيدَ عن الثقافة الرفيعة لسيميك، جانبهُ الإنساني الرفيع والمتسامح، وبخاصة في أواسط الأدب والفن، فقد تعرف الرجل كما يوردُ في سيرته على قائمة طويلة من الشعراء والمفكرين، كما شاء القدرُ أن لاقى أيضًا عددًا من الدبلوماسيين، إن سيميك يُقدِّمُ ببراعة لا نظيرَ لها دفاعًا عن فن الشعر وعن كتاباتهِ وانشغالاتهِ المعرفية والوجودية وشغفه بالفنون، ودفاعًا لا مثيل لهُ عن الإنسانية والسِّلم والجمال.

خامسًا: أمريكا الحظ ومتاهةُ الحُلم والنشاز

بعد الشتات في باريس، استطاعت الأم رفقة سيميك والأخ الأصغر أن تقطع سالمةً

تشارلز ديكنز

تشارلز سيميك

جلوريا جراهام

إلى أمريكا، حيثُ الوالد هناك انتظرهم واستقبلهم، ويمكن عمومًا وصفُ هذه الجزء من حياة الشاعر تشارلز بالاستقرار رفقة أبويه، إلا أن بعض الشجارات والخصومات بين الأب والأم، ستدفع به إلى الاستقرار رفقة أحد الأصدقاء في شقة سفلية قذرة، ظروفها لم تكن مُواتية، ومع ما عَصف بسيميك في هذه المرحلة من مُراهقة، نتعرف عليه شخصًا يبحث عن الحب، وينتقلُ من وظيفة إلى أخرى لتأمين حاجياته، وظيفة في مكتبة، إلى وظيفة بائع قمصان. ثم بعد هذا كله يجدُ نفسه مدعوًا للخدمة العسكرية الأمريكية، وضمن هذه التفاصيل كان يحسُّ سيميك أن حلم الشاعر يتلاشى في نفسه. «**لقد جعلني حظي التعس جذابًا فجأة**»[32]. كان سيميك حينها قد استشعرَ التحول من أوروبا مسرح الحرب إلى أمريكا أرض الحلم؛ «**لم تكن أمريكا مثل أوروبا؛ كانت عظيمة في بشاعتها مملة للغاية في نفس الوقت. أحببت أمريكا على الفور**»[33]. وكان هذا الاستشعار مصحوبًا بنوع من الاستقرار والصفاء الذهني الذي على خُطاه بدأ يرسُم ملامح ذاتهِ شاعرًا كبيرًا ولم يتوقف عن كتابة قصائده، وبدأ في تطوير مَوهبته حتى في السنوات التي قضاها مُجندًا، وضمن سيرته نجدهُ يفصحُ عن حبه لأمريكا لأنها منحته الحظ، الحظ الذي سلبته بلجراد منه؛ «**شعرت بأنني في**

وطني»[34].

وهكذا عاش سيميك في أمريكا بين الحظ ومَتاهة حلمه شاعرًا، وبعضَ النشاز الذي كان يتسلل إليه، ولكن يمكن اعتبارُ أمريكا سيرة الاكتمال عند سيميك، فقد كان يحس أنه يعوض خسارة الماضي ويُرمم الضياع، خاصة في بعض لَحظات الأُنس الراقية والجميلة التي كان يتقاسمها مع الأب الذي وضعه في مكانة صديق له، يرتشف معه النبيذ أو يأكل معه في مطعم، أو يشتريان في متجر، وبالرغم من سوء الأحوال المادية، وأن الأب كان يعيش دون معرفة قدر نفسه، إلا أن الكاتب يقرُّ بسرقته لأفضل اللحظات، وأن أمريكا أهدته الاتزان الذي كان مفقودًا في أوروبا الشرقية وقتذاك.

سادسًا: العائلة، الحب والخنزير المسكين وأشياءَ أُخر

يتمتع سيميك الشاعر كما قدمتهُ مجموعة من الحوارات بشخصية مُتزنة، إنسانية مُتواضعة، مُوجزة وبليغة، وفي جانب من صفحات سيرته نجدُ أن أمًّا من طبقة مُتوسطة محترمة ومولعة بالفن الموسيقي تقف خلف هذا المبدع، وأب مُنفتح من أصول أقل تماسكًا مما هي عليه الأم، لكنه أب عزيزٌ مُتعالي النفس يفرض ذاته، وقد أحبهُ سيميك رغم ما له وما عليه لأنه كان يعاملهُ في رتبة صديق؛ «**سهرنا طويلًا، حتى أن أبي أعطاني بعض رشفات من الويسكي**»[35]، ولعلها أمورٌ من صميم التنشئة تصنعُ شاعراً كالرَّاحل تشارلز سيميك، فالأم عصامية والأب أكثر انفتاحًا، وسيميك بينهما علامةٌ فارقة في الإبداع الشعري.

يمكن الجزم بأن علاقة تعاون وحب عائلي نشأت في وسط سيميك، فرغم بعض الأحداث التي يُصورها في سيرته كالخصومات بين الأبوين، أو جنون الخالة، أو خواءُ الأعمام، أو قصص الأصول لدى الأجداد، إلا أن تماسكًا عائليًّا حتى في فترات سيميك العصيبة كفترة الاغتراب في فرنسا كان ظاهرًا، فقد ساعدهم الخال في فرنسا، واستقبلهم الأب في أمريكا، وكذا في مراحل من طفولته كان بين أهله من أمه وأهله من أبيه.

يتحدث سيميك في سيرته الذاتية عن بعض لحظات حبه العاطفي، ولا سيما حبه لتلك التي لم يعرف عنها شيئًا حتى اختفت، كما يتحدث أيضًا عن حبه للخنزير المسكين، وقد أخذت قصة الخنزير صبغة التكرار في صوغه السير ذاتي، فقد كان للأكل والطعام، واللحم المقدد للخنزير حضور قوي في النص، لأن سيرةَ سيميك في حقيقة الأمر هي سيرةٌ وقعت في الحدود الفاصلة بين زمنين: زمن الجوع والحرمان وزمن الشبع والتعويض، لهذا نجدُ الخنزير يحضرُ في الصورة الأولى من سيرته؛ صورة الحرب باعتباره المأمول الذي ترغبُ فيه العائلة وتُقايضُ لأجل الحصول عليه، أما في الصورة الثانية من سيرته وهي صورة السِّلم فيحضرُ الخنزير باعتباره واقعًا ومأكولًا، يُنسي مرارةَ الماضي ويُعوض خسارة الزمن الفائت.

ذبابة في الحساء هي تمثيل زمني لكارثة العالم ولآماله، وتمثيل ذاتي للراحل عنا الآن الشاعر تشارلز سميك «تمتلىء سيرة سيميك بحكايات بديعة عن تاريخ أسرته، عمن عرفهم من شعراء واعدين اختفوا في الحياة، عن الصداقة والطعام والموسيقى والفلسفة، حتى عن وجوهٍ لِعابرين ما زال يتذكرها بعد كل هذه السنوات. وفي نثرهِ كما في شعرهِ، تدفعُنا قراءة سيميك للتذكر والتخيُّل والاستمتاع والضحك»[36].

سابعًا: انحرافُ اللغة، صدقُ التشخيص

من المفيد علاوة على ما

قدمناه، أن نحُيط ببعض الاستراتيجيات التي نهجها سيميك في اللغة السردية لهذا النسيج الذاتي، ومما بدا واضحًا أن اللغة السردية عند سيميك تعمد إلى الجرأة أحيانًا، بحيث تكشف عن الواقع الهشِّ بلغة هشَّة، أقربُ إلى نابية، وهذا انحرافٌ بدَهي في اللغة السردية الذاتية التي تروم استنساخ التجربة بعُنوان الصدق، ومما نأتي على ذكره من أمثلة، وسياقاتها النصية كثيرة، نذكر: «**في أحد الصباحات، صحوت مبكرًا ورأيت خالتي تغسل ثدييها في دلو ماء بارد. انتبهت أني أشاهدها والتفتت. انفجرت في الضحك ورقصت قليلًا كما هي، عارية**»[37].

وللعلم فإن الترجمة التي قدمتهَا إيمان مرسال لا بد وتتحفظُ من بعض المقابلات اللغوية، وقد يكونُ من باب الاحتمال أن النص الأصلي أقوى في هذه الجرأة اللغوية، ويَصوغُ التمثيل السردي باختراقات لغوية أكثرُ بروزًا؛ «**أختا والدي كانتا قحبتين قذرتين. والد والدي عجوزٌ بغيض، وجدتي فلاحة أمية ومسكونة بالخرافات**»[38]، ويمكنُ أن نعتبرَ أساسَ الكشف الذاتي الصادق في التشخيص، هو الذي قد تكون فيه بعض الانحرافات اللغوية والجرأة السردية، وإن وُجدَ ذلك فدليلًا على الصدق في البوح السردي؛ «**صحت في رجل يمر بجانبي في الشارع: «ابن القحبة». بالطبع كان ابن القحبة على صواب. ولكن ما العمل**»[39].

وهكذا كثيرة هي أمثلة هذا القالب اللغوي المشحون بسردية الذات في «ذبابة في الحساء»، ولأن النص المنقول دائمًا إلى القارئ العربي يتعاملُ معهُ المترجم تعاملًا مُتمايزًا، يضعُ في حسابه خصوصية النص أولًا لأنه سير ذاتي، وطبيعة المتلقي ثانيًا لأنه في بيئة مُنافية، وأخالُ المترجمة بصدد نقل هذا النص تكون قد صادَفت الكثير مما صعُبَ نقلهُ، أو الكثير مما استعصى إيجادُ مُقابل لهُ، خاصَّة في مثل هذه اللغة السوقية المعبرة عن ذاتية أمينة، أرى إيجادَ ما يدلُّ عليها محضُ صُدفة في اللغة الهدف.

فاتنة الغرة

فرونيكا ليك

فيليب لوجون

ثامنًا: لُغات مُتضمنة، واستراتيجيات فنية

كتبَ تشارلز سيميك سيرته الذاتية في قالب عبر نوعي، لذلك نلفي فيها حضورًا لمجموعة أجناسٍ متخللة، إذ لا يكتفي فقط باستحضار النموذج الرسائلي كما أشرنا سابقًا، بل يعمدُ علاوةً لتقنية «الفيلم»، وهي حاضرة بكثافة في طيات المسرود، ويُمكن مُراجعة مروي فيلم «سارق الدراجة» الذي أخذ صفحات كثيرة من الرواية (من ص77 إلى ص81)، يرويه الكاتب ولا يكتفي

"لقد كانت لحظةً مُدهشة، أن تكتشف أن شاعرًا أكبر سنًّا ورجلًا لطيفًا جدًّا والذي أعجبت به كثيرًا، قد اعتادَ إسقاط القنابل على المكان الذي كنتُ أعيش فيه مرتين في الأسبوع في ربيع عام ١٩٤٤. لقد شعرَ بالخزي وكان ممتلئًا بالاعتذارات، ولقد واسيتهُ، فقد كان طفلًا فقيرًا من سياتل وفعلَ ما قيلَ لهُ، وكان من الغباءِ مني أن ألومه عندما أصبحَ العالم كله مجنونًا"

(تشارلز سيميك)

بروايته، بل يُعلق عليه، يُحلله ويربطه بالأزمة أنذاك وتطلعات الإنسان(*).

إلى جانب ذلك، نُسجل حضور نص القصيدة، كما واقع الحال في تذكُّره لحظةَ كتابته لنص قصيدته في الصفحات (148– 149)، ونفس الطريقة الفنية يكتب بها في الصفحة (152) وفي الصفحات (167– 168) وهي جميعها قصائده الذاتية، ينثرها في مسارات سرده لسيرته الذاتية.

ولسيميك عبور نوعي بطريقة أخرى، خلالها يقوم باستحضار قصائد غيرية للاستشهاد حينًا أو لإبداء الإعجاب أو ما شابه أحيانًا أخرى، وهذا ما نجد له أمثلة في الصفحات (153– 154) حيث يأتي على ذكر قصيدة إميل روماير من هايتي تحت عنوان «الفلاح يعلن حبه» متأثرًا ومُعجبًا بها. ويستحضر لجزء من القصيدة التي تذكرها للسيدة إكس كما يُسميها، في الصفحة (173).

طريقة أخرى وهي استراتيجية النص والمقابل المترجَم، عمدَ إليها سيميك كذلك في الصفحة (256) مثلًا، وهو يضعُ بعض السُّطور الشعرية للشاعر بليز سندرار بالفرنسية وما يقابلها مُترجمًا.

يستعين كذلك الكاتبُ بمقتطفات من كتاب ما، كما يَظهرُ ذلك في واقع الصفحتين (299– 300) التي يستحضرُ فيها سيميك مُقتطفًا من كتاب جوديث لوربر «التناقض الظاهري للجندر» تتحدث فيه عن الجنون من منظور النسوية، وذات الأمر في واقع الصفحتين (306– 307) إذ نجدهُ يبسطُ فقرة لرينيه ديكارت، وكثيرة هي الفقرات المقتطفة والمتضمنة في سرود هذه السيرة، إذ نجد في الصفحة (314) كذلك فقرة لمارتن هايدغر..

استراتيجية أخرى يعتمدها تشارلز سيميك في كتابة سيرته وهي التي نعتبرها عملًا مُبدعًا غير مألوف في كتابة العمل السير ذاتي، ألا وهي دمجُ الصور الموثقة للحظاته السَّردية، كأن سيميك يؤكد أن سرد السيرة الذاتية، هي عرض صور أيضًا، وابتداءً من الصفحة (205) إلى غاية الصفحة (217)، تضم تلك الصفحاتُ مُتتابعةً مجموعة من الصور الفوتوغرافية التي التُقطت في زمن مُتقدم وفي فترات زمنية متباينة لأبيه وأمه وجده وعمه، وهو نفسه في لحظات مُتفاوتة، ما بين الطفولة والخدمة العسكرية، والكتابة والأكل والنبيذ، وغيرها من أصداءِ الذاكرة التي تتحدث عنها الصور.

انتهاءً، رَحل الأمريكي الصربي تشارلز سيميك عن عالم الدَّمار والحظ والإبداع

بتاريخ التاسع من يناير عام 2023 عن عمرٍ أربع وثمانين سنة، قضاها في السمو بالحرف الشعري وتجلية الكلمة في سماء الكتابة، تاركًا زمن جنون آخر وراءه، والحقيقة أن سيميك ماتَ وفقط، ولم يُجن بالرغم من أنه عاشَ طعمَ القرنين، ورأى جنون الحرب، وعاصر تطورات العالم.

إن تشارلز سيميك كواحد من كبار الشعراء في التاريخ المعاصر، لم يمُت، فمن كتبَ سيرته الذاتية لا يموت، وفي داخل سيرته يوجد دائمًا، يشهدُ عليه القلم وتتحدث عنه الصفحات، وعساكَ تُقلب صفحات «ذبابة في الحساء» حتى تجد سيميك، يحيا من جديد، يروي لك الحياة منذ أن بدأها حتى توقفت عنده.

إن وعي سيميك بالمنطق الشهرزادي(*) دفع به إلى كتابة سيرته، لأن كتابة السيرة هو ترحيل مؤجل للموت، وإن كان لا بد منه فهو حقيقة الفرد، لا حقيقة النص، النص يبقى حيًّا شاهدًا على زمانه، وإذ كان تشارلز يحيا الآن عندَ دُعاة السرد في منثوراته، فإنه عند أنصار الشعر له حيوات أكثر، وعند أنصار الترجمة له وجود أكبر، إن تشارلز سيميك كان علامة فارقة في الإبداع الشعري المعاصر، وذبابة في الحساء، هو نص كتبه للجميع، فيه الفقير والفنان والميسور والمجنون والسياسي والضابط.. إن تشارلز كان يكتب للجميع لأن شيئًا ما يُلاحقه، اسمه الموت، ذهب بروحه، وتركَ مجدهُ ○

الهوامش:

(*) تشارلز سيميك الشاعر الأميركيُّ من أصل صربي (1938– 2023) أحد أهم شعراء العالم المعاصرين، الذي صدر له نحو ستة وثلاثين كتابًا شعريًّا كان أولها «ما يقوله العشب» في العام 1967، لتتوالى بعدها الإصدارات التي نذكر منها: «كتاب الآلهة والشياطين» (1990) و«قرد في الجوار» (2006)، كما صدر له عدد من الكتب النثرية كان أهمها وأكثرها شهرة سيرته الذاتية التي نقاربها في هذه الورقة البحثية تحت عنوان: «ذبابة في الحساء». قام تشارلز سيميك أيضًا بترجمة أكثر من أربعة عشر عملًا كان من أهمها: «حدائق النار» لإيفان لاليتش (1970) و«صحوة من أجل الأحياء» لرادميلًا لازيتش (2003)، ومن هذا التاريخ كله صنع سيميك اسمه الذي أصبح علامة جودة إبداعية فارقة لا يختلف اثنان حولها.

(*) إيمان مرسال شاعرة وأكاديمية مصريَّة وأستاذة مساعدة للأدب العربيِّ ودراسات الشرق الأوسط في جامعة ألبرتا، كندا، من كُتبها «جغرافيا بديلة» 2006، و«حتى أتخلَّى عن فكرة البيوت» 2013.

(*) الأفضل في هذه الترجمة التي قدمتها إيمان مرسال أن شاعرة تُترجم لحياة شاعر آخر، لذلك حصلَ تفاهم وتماهٍ قلَّ نظيره، واستطاعت المترجمة الإنصات لسيرة سيميك والتواصُل معها بعُمق وذوق شعري، ولهذا حصَل وعيٌ تام وذهابٌ إلى الأقصى في النقل من الأصل إلى اللغة الهدف.

1– Refer: Philippe Lejeune: « Moi aussi » , Ed. Seuil , Paris, 1986 , p:41.

2– بسام قطوس، سيمياء العنوان، منشورات وزارة الثقافة، عمان (الأردن)، ط1، 2001، ص60.

3– راجع: بشير القمري، شعرية النص الروائي، البيادر للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1991، ص152.

4– فتحي إبراهيم، «معجم المصطلحات الأدبية»، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، ط1، 1986، ص202.

(*) حرب أهليةٌ مُتعددة الجوانب بين البارتيزان الشيوعيين اليوغسلاف وتشيكنيس الملكيين الصرب وأوستاشي الفاشيين الكروات والحرس الوطني وكذلك قوات الحرس الوطني السلوفيني.

5– تشارلز سيميك، «ذبابة في الحساء» (سيرة ذاتية)، ترجمة إيمان مرسال، الكتب خان للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1، 2016، ص93.

6– ذبابة في الحساء، ص188.

7– نفسه، ص51.

8– نفسه، ص23– 24.

9– نفسه، ص20.

10– محمد بوعزة، تمثيل الهوية النسوية في رواية «دنيا» لعلوية صبح، مجلة تبين، (قطر)، عدد 20، الجزء 5، 2017، ص34.
11– تشارلز سيميك، «ذبابة في الحساء»، مذكور، ص63.
12– نفسه، ص64.
13– نفسه، ص317.
14– نفسه، ص51.
(*) انظر، ص32 مثالًا، حيث تَعمق الذاكرة في شعرية التفاصيل على امتداد صفحة كَاملة، ولهذا الأمر أمثلةٌ في سياقات نصية كثيرة.
15– فيصل دراج، «الرواية وتأويل التاريخ»: نظرية الرواية والرواية العربية، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 2004. ص9– 10.
16– تشارلز سيميك، «ذبابة في الحساء»، مذكور، ص32.
17– بول ريكور، «الذاكرة والتاريخ والنسيان»، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2009، ص103.
18– بول ريكور، «الذاكرة والتاريخ والنسيان»، مرجع مذكور، ص85.
(*) انظر رسالة «بولدر» إلى «سيميك» مثالًا في ص27.
19– تشارلز سيميك، «ذبابة في حساء»، مذكور، ص6– 7.
20– نفسه، ص49.
(*) أحداث كثيرة تَغرقُ في تفاصيل كثيرة، ينظر إلى ص52 وما بعدها، ولعل مردَّ هذا الإسهاب إلى الوقعِ النفسي لعذابات التِّرحال والتوجُّس من واقع الموت أو مُستقبل واهم في بلجراد.
21– تشارلز سيميك، «ذبابة في حساء»، مذكور، ص10.
22– نفسه، ص89.
23– نفسه، ص152.
24– نفسه، ص132.
25– نفسه، ص100.
26– نفسه، ص143.
27– نفسه، 103.
28– نفسه، ص67.
29– نفسه، ص255.
30– راجع: فاتنة الغرة، «الشاعر تشارلز سيميك؛ الإيجاز هو روح الذكاء!» (حوار)، ضفة ثالثة، عدد، 10 ديسمبر 2018.
31– نفسه: فاتنة الغرة، الشاعر تشارلز سيميك؛ الإيجاز هو روح الذكاء! (حوار)، ضفة ثالثة، عدد، 10 ديسمبر 2018.
32– تشارلز سيميك، «ذبابة في الحساء»، مذكور، ص222.
33– نفسه، ص113.
34– نفسه، ص134.
35– نفسه، ص114.
36– راجع: رانيا يوسف، «ذبابة في الحساء» عن السيرة الذاتية للشاعر الأمريكي تشارلز سيميك، القدس العربي، عدد، 22 يونيو 2016.
37– تشارلز سيميك، «ذبابة في الحساء»، مذكور، ص35.
38– نفسه، ص71.
39– نفسه، ص194.
(*) كذلك نفس الشيء بصدد سرد فيلم «لورا» ووصف مَشاهده الإيروتيكية في الصفحة 100 وما بعدها، عموما يلاحظ القارئ بتلقائية ذاك الحضور المكثف لعناوين أفلام وأسماء مخرجيهم وأسماء البطولات فيها، ويمكن مُراجعة ص103 وما بعدها أيضًا.
(*) المنطق الشهرزادي: نروي لنعيش.